نـافـذة

الاتفاقية المشؤومة

ثمة أكثر من اتفاقية مشؤومة عانت سورية تبعاتها على الأرض قبل وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، قبل انتهاء الحرب تحديداً، وفي اليوم التاسع من شهر أيار من عام ١٩١٦، بعث المسيو بول كامبون، سفير فرنسا في لندن، كتاباً إلى المستر إدوارد غراي وزير خارجية بريطانيا جاء فيه قوله بالحرف: «أمرت أن أبلغكم أن الحكومة الفرنسية قبلت الحدود التي رسمت على الخرائط الموقعة من قبل السيد مايك سايكس والمسيو جورج بيكو، وأنها رضيت بالمبادئ التي دارت حولها المفاوضات في القاهرة».

ومعروف أن هذه المفاوضات التي احتضنتها القاهرة قبل حوالي عام من هذا التاريخ بين ممثلي الحكومتين الفرنسية والبريطانية تمخضت عن الاتفاقية الاستعمارية باسم اتفاقية سايكس– بيكو التي تم توقيعها في السادس عشر من أيار من عام ١٩١٦ وبقيت سراً بين الدولتين إلى أن ذاع أمرها بتاريخ الحادي والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٩١٧ بعد الثورة الاشتراكية في روسيا وذلك في سياق الحملات الإعلامية للتنديد بالحكم القيصري وتواطؤ هذا الحكم مع الحكومات الاستعمارية ضد الشعوب.

ومعروف أيضاً أنه بموجب هذه الاتفاقية قسمت البلاد السورية إلى منطقتين وهما ألف وباء، الأولى تشتمل على سورية ولبنان وتخضع للنفوذ الفرنسي، والثانية تشتمل على فلسطين والعراق وتخضع للنفوذ البريطاني.

وحين يعود أحدنا اليوم إلى ما يجري في منطقتنا، يكاد يتلمس مسبقاً تبعات المؤامرة التي أعدت للنيل من حاضر دول المنطقة، وفي مقدمها سورية التي لم تتردد يوماً عن أداء واجبها في الدفاع عن هذا الحاضر، ومن أجل ذلك تدفع اليوم الثمن، تدفع ثمن صمودها في مواجهة أعدائها من جهة، ومن جهة أخرى ثمن الدفاع عن كرامة الإنسان العربي، من كان وأينما كان موقعه على الأرض العربية من محيطها إلى خليجها.

إن اتفاقية سايكس– بيكو التي يراد إحياؤها اليوم في المكان عينه وبالشكل عينه بعد مرور مئة عام على إبرامها بين الحكومتين الفرنسية والبريطانية، تأتي دليل تشبث هاتين الحكومتين بعزيمتهما لتكرار سيناريو الاتفاقية المشؤومة، مدعومة من قوى استعمارية جديدة في مقدمتها الولايات المتحدة الأميركية، وألمانيا وإيطاليا وقوى أخرى حليفة لقوى الاستكبار العالمي، ومع هذا، فإن إرادة السوريين، بشرائحهم وبأطيافهم كافة، لابد أن تهزم المتآمرين على بلادهم، كما هزمت أسلافهم من قبل، وإن يكن الدرب شائكاً بعض الشيء ومؤلماً بعض الشيء، ذلك لأن هذه المعادلة هي من تبعات النضال على درب النصر وإعادة ما دمره المعتدون على أرض الوطن بشراً وحضارة.

يقول المهاتما غاندي (١٨٦٩– ١٩٤٨) «إن قدرة الإنسان على تحمل العذاب هي أكبر قدرة من قدرة عدوه على تعذيبه».

لقد خبرت سورية ما يعنيه غاندي بقوله هذا وهو الذي عانى الكثير الكثير من بقاء المستعمر البريطاني فوق أرض بلاده لعقود طويلة قبل خروجه منها.

د. اسكندر لوقا

قصيدتي موجّهة للعرب وهمومهم وليس لفلسطين فقط

خالد أبو خالد لـ«الوطن»: عندما يقارن الشاعر قصيدته بقصيدة غيره يخسر

الاستسهال وقلّة الثقافة والانبهار بالفيس بوك من أسباب تراجع قصيدة النثر

عامر فؤاد عامر
سوسن صيداوي

خالد أبو خالد مع الزميلين عامر وسوسن

يملك روحاً شابة جعلت من قلمه أكثر نضوجاً عبر تجربة جاءت من أرض فلسطين لتتحد بعشقه لدمشق؛ ومنها ينطلق، فكانت دواوينه المنسوجة بالعطاء، والنبوءة، والجمال، له نظرته في الواقع المعيش من خلال تحليل وتصويب لكثير من الأخطاء التي نقع فيها ونكررها، كالعلاقة مع المصطلح الغريب واستخدامه من دون انتباه وفهم، فاللغة لديه مقدسة، ويؤكد لنا ضرورة بناء علاقة سليمة معها، وفي وجه آخر من شخصيته نكتشف عن اللوّحة التشكيليّة والعلاقة القديمة معها لنرى جمالها في آخر لوحة له وهي جداريّة «قيامة الشهداء». الشاعر «خالد أبو خالد» في حوار لـ«الوطن» وحديث يدور في فلك الشعر، والرسم، والحياة:

• نلاحظ حميميّة خاصّة في ارتباطك مع «دمشق»، فماذا قدّمت لـ«دمشق» وماذا قدّمت «دمشق» لك؟

لم أستطع حتى الآن أن أقدّم لدمشق ما أطمح أن أقدّمه لها، لكن دمشق قدّمت لي حياتي كلّها. والدي هو أحد القسّامين الخمسة الأوائل وكان اسمه «مصطفى الشامي» لأنه كان كثير التردد إلى الشام لجلب الأسلحة والتواصل مع المقاتلين، فقد كانت المعارك محتدمة في القدس، وشارك معه من سورية كثيرون منهم: «سعيد العاص»، و«محمد الأشرم» من دمشق، و«متروك أبو يحيى» من جبل العرب، وغيرهم كُثر. وقد قاتلوا في فلسطين جنباً إلى جنب ضدّ الإنكليز، إذاً هذه الشام ليست معزولة عن فلسطين، وهذه الشام لدينا في فلسطين ما يوازيها، وهي «نابلس» والتي نسميها دمشق الصُغرى، واليوم عندما أريد أن أستدعي نابلس أو القدس أو الخليل فوراً أذهب إلى دمشق القديمة، وأتسكع في حواريها، وأخلع الساعة، وأتوه فيها لأشعر أنني ما زلت في فلسطين. من جهة ثانية أول مؤتمر سوري في بلودان في العشرينيات من القرن الماضي كان من نظمه «محمد عزّة الدروزي» وهو من مدينة «نابلس» وقد عاش في دمشق. وفي الخمسينيات زرت قائد الثورة الفلسطينية «أبو إبراهيم الكبير» وقد درس أبناؤه في الجامعة السوريّة، والذاكرة تحمل المزيد من العلاقة الوطيدة بين فلسطين والشام.

• العلاقة مع الحرف وطيدة، وهناك حنين في العلاقة مع الأرض، فإلى أي درجة هناك تشابه بين الميزانين؟

الحرف هو الحامل للفكرة، وكم يتمنى أي شاعر أو أي مبدع أو أي موسيقي ألا يكون هناك وسيط بينه وبين الورقة أو اللوحة لكي يجسد ما يدور في خَلده، لكن هذا الوسيط يأخذ كثيراً ما في ذهنه لأنه يمرّ في عدّة محطات تقطعه قبل أن يتجسّد، لذلك تبقى الكلمة قاصرة عن الفهم وعن توضيح ما جرى على الأرض العربيّة من حوادث، ودائماً تأتي بالأقل، حتى في كتابتي للأغاني أجد ذلك، لأن الواقعة تبقى محمّلة بالحقيقة أكثر من الحرف.

• فاقد الشيء يعطيه أو فاقد الشيء لا يعطيه، أين أنت منهما؟

أنا أعطيه، وأيّ شخص أرى ملامح الكبر عليه أتعامل معه على أنه والدي، وأي شخص أراه أصغر مني في السّن أتعامل معه كأنّه ابني، فأنا في الخانة الأولى، وهي: فاقد الشيء يعطيه.

• طفولتك كانت قاسية وعانيت كثيراً، لكن ذلك منحك الحنان والشفافيّة والقوّة والتحدّي، فكيف كان ذلك؟

لو قدّر لي إعادة حياتي لما حذفت منها أيّ فاصلة أو نقطة بكلّ ما حملته من معاناة أو فرح. وكنت من النوع الذي يفرح للأشياء الصغيرة حتى لو كانت فاكهة أو لعبة، فأفرح كما لو أنها ذات قيمة عالية، ودائماً كنت أرى أن الحياة جديرة بأن نعيشها، وجديرة بأن نبنيها على مقاسنا، فليس هناك حياة جاهزة كما نريد، وليس هناك وطن جاهز كما نودّ، فكل شيء علينا المباشرة في بنائه وبذل الجهود، والبناء عمليّة جماعيّة وليست فرديّة، وأنظر للأشياء بعين الجماعة، والمجتمع، والناس، ضمن الواقع الذي نحيا فيه، وهو واقع عربي مُحتل، فيه الكثير من الفساد، وفيه الكثير من الهبوط، والاستهتار، وهناك الكثير من الانعدام لمنهج تربوي سليم، وكثير من الخزعبلات... إذاً، علينا بناء الوطن بمزيد من التضحية، فذلك واجب وإلا لا مكان لنا في الحياة، أو سنكون كالميت في منزلة واحدة.

• هل الواجب والمسؤوليّة هما من دعواك للتخلّي عن العمل السياسي؟

العمل السياسي مثل التجارة يحتاج إلى وجوه منها البلاستيك، والخشب، وغيرها، وحتى ينجح الشخص في السياسة لا بدّ له من امتلاك موازنة تقتضي التضحيّة بأشخاص مقربين وغير مقربين! وأنا لم أستطع أن أفعل هذا، وهذا يعني أن أكذب، وأن أنافق، وأن أناور.. إلخ وهذا ثمنه أغلى كثيراً، فلدي ثوابتي كشاعر ومهما كانت تكاليفي، وتضحياتي هنا؛ فهي أقلّ بكثير من التضحيات التي سأقدّمها في مسارات أخرى، بما فيها المسار السياسي، ولمْ أستطع أن أنسجم مع الذين وضعوا برنامجاً على الطاولة وقالوا إن هذا لتحرير التراب الفلسطيني ثم عندما وصلت التضحيّات ذروتها أزالوا البرنامج ووضعوه تحت الأقدام وأبدلوه ببرنامج فوق الطاولة، فأنا لا أستطيع أن أتعامل مع هذا البرنامج الذي وضعوه منذ العام ١٩٧٤.

• لماذا لم تكرر التجربة المسرحيّة فبقيت فقط في مسرحيّة «فتحي»؟

المسرح يحتاج لدولة، فمن دون دولة لا يوجد مسرح، ونلاحظ أن ما حدث من حفلات على مسرح «تدمر» في الفترة الأخيرة لم يكن ليحدث لولا وجود دولة، أمّا نحن اليوم فلا دولة لنا، ولذلك عزفت عن التجربة المسرحيّة، وقد شرّع البعض مقولة: «تكلّم يا رصاص، واخرس يا قلم»، بالتالي وَضْع الثقافة جانباً، وهذا يدعو لتدمير أيّ إمكانية، فعندما وقفت دولة وراء الموسيقي «حسين نازك» أنجز في الموسيقا وأعطى، والفضل طبعاً لوزيرة الثقافة سابقاً د. «نجاح العطار» التي منحته كلّ الإمكانات ليُنتج، وأنتج فعلاً. المسرح من دون دولة يعني لا مسرح، وفي الستينيات نهض المسرح في مصر وفي سورية، ولكن تداخل كثير من الأمور، وانتشار التخلف، ووضع العصي في الدواليب أدى إلى حدوث تراجع من جديد في المسرح، وطبعاً جاء على حساب النمو والتطور في المعهد العالي للفنون المسرحيّة، الذي خرّج مسرحيين مع محاولة النهوض بالمسرح والتوجّه لمناحي إبداعيّة ثانية.

• احتاج الشعر في أوروبا قروناً حتى تطور، لكن لدينا خلال أقل من ٥٠ عاماً حمل الشعر قفزات، فهل هذا التطور يحمل حالة من التعافي أم حالة من التشوّه؟

هذا التطور يحمل حالة من التشوّه فقد اختلط الحابل بالنابل في ميدان الشعر العربي، وإن أردت تحميل المسؤوليّة على جهة ما فستقع على الشعراء الكبار لأن منهم من كان يضمّ أشخاصاً ينشرون نصوصاً هابطة لكي يتميّز نصهم، وهذا من جهة، ومن جهة أخرى هناك خطأ في الثقافة العربيّة أراد أن يسلخ المعاصر عن الأصيل، وأعلنوا في بيان أنّه لا بدّ من فصل الأدب عن السياسة، ولا بدّ في الوقت نفسه من تحرير الشعر من قيوده والقطيعة مع الموروث، وهنا وقع الخلل فالموروث ليس كلّه جيداً، ولكن القطيعة الكاملة معه تعني القطيعة مع التاريخ! ومع حالات التطوّر مع الشعر العربي منذ الجاهليّة وما قبلهم إلى اليوم.

الآن سأتحدّث عن ٣ صيغ للشعر العربي العمودي، والتفعيلة، والنثر، وعمر قصيدة النثر أطول بكثير من قصيدة التفعيلة، فعمرها بدأ في عصر النهضة العربيّة مع «أمين الريحاني» و«الزيّات» و«جبران» وغيرهم ولكن هؤلاء عاشوا مع مرحلة وقدّموا ما تتطلبه هذه المرحلة، وجاء جيل بعدهم لكي يكسر هذا السياق وليحمّل قصيدة النثر ما لا تحتمل، فأسقط عليها مقاييس ليست من داخلها، فالقواعد لاحقة للغة، وفيما بعد تأتي المقاييس، فقد أسقطوا على قصيدة النثر مقاييس غربية، وفي الغرب جاءت قصيدة النثر نتيجة سلسلة من الصدمات، منها الدمار الذي حلّ في الغرب خلال الحربين الأولى والثانية العالميتين، فتفلّت التشكيليّون، والمبدعون، والمسرحيّون، فخرجوا من سياق مألوف إلى آخر غير مألوف، فالواقعيّة انتقلت إلى التكعيبيّة، والسرياليّة، والدادائيّة.. إلخ، ولكن بالنسبة لواقعنا العربي فهذا لم يحدث مطلقاً بل هو جرى افتعالاً، على الرغم من أن بعض مما كتب في الستين سنة الماضية حمل كثير من الإيجابيّات، فكان شعراء كبار أذكر منهم الشاعر الراحل «محمود السيد» الشاعر المتمكن من موسيقا اللغة، ومن اللغة نفسها، ومن الموضوع، فكتب قصيدة حقيقيّة. الآن هناك خطورة على الشعر هي ذاتها التي لحقت بالشعر العمودي الذي حمل حرفة في الأداء، فيستطيع فلان نسج قصيدة لكنه لا يستطيع أن يبثّ الروح فيها، واليوم تصاب قصيدة التفعيلة بهذا الأمر، فهناك محترفون في تشكيلها، ولكن أين الروح فيها! وهذا يعرض الشعر للخطر.

بالنسبة لقصيدة النثر، فقد كُلّفت منذ مدّة تقديم كتاب عن الشعراء الجدد، بالتعاون مع مجلة المعرفة، وكان د. «علي القيّم» رئيس تحريرها، فجمعت من الأشخاص، والفيسبوك، ومن النصوص المنشورة نحو ٧٠٠ نص، وبعد دراستها كلّها – هذا كلفني جهداً كبيراً– بقي لدي ١٥ نصّاً منها فقط، والسبب هو استسهال البعض في التأليف، والبعض غير المثقف، والبعض الآخر أسرهم عالم الفيسبوك، وهكذا، فاختلطت الأمور لدينا للأسف، لكن برأيي إن رواد قصيدة النثر هم اثنان «سليمان عوّاد» و«إسماعيل عامود» فقد حاولا تقديم قصيدة نثر تحمل الهمّ الوطني والذاتي، واجتهدا في ذلك وتلتهما الشاعرة «سنيّة صالح» الشاعرة المهمّة والمتميّزة، واليوم هي منسيّة.

• ماذا عن «محمد الماغوط»؟

سأقول ما قاله «الماغوط» عن حاله، وشعره، بعد عودته من مجلة شعر ليكتب في مجلة الآداب: «حاولوا أن يصنعوا مني شاعراً، ولكني لم أكن أكثر من كاتب خواطر». وأقول: إنه أديب كبير ومسرحي كبير لكنه أُخذ باللقب الذي أطلق عليه، ففي تقديري كلّ كاتب حقيقي هو شاعر، لكن «الماغوط» ككاتب صحفي ليس بعده كاتبٌ في بلادنا، وهو مستوى «حسيب كيّالي» وفنّ الكتابة الساخرة التي تميّز فيها.

• ما رأيك في رأي يؤكّد أن «بلند الحيدري» سبق «السياب» بعامين في التجديد الشعري؟

اتحفظ على «بلند الحيدري» بأنّه شاعر وأتحفظ على كتاباته، لكن أقول اعتمد «السيّاب» على نصين لغة العمود، ولغة الحداثة، بعد أن طوّر الأسلوب، وفتح الباب واسعاً أمام من تبعه، والسيابيّة هي مرحلة في التجديد الشعري، وليست كلّ التجديد، فهي محدودة في زمنها، وجاء شعراء الستينيات لكي يجذروا قصيدة التفعيلة ولينطلقوا إلى آفاق أرحب بها وهم كثر، منهم «أدونيس»، فأصبحت التفعيلة تياراً في الأدب أمّا قصيدة النثر فلم تصبح بعد.

• ماذا تقول عن رأي ينادي بمقاطعة القصيدة العمودية في بلاد الشام والبقاء على العلاقة مع قصيدة النثر فقط؟

لا قيمة أدبيّة لهذا الكلام، والحقيقة هي أنّنا مع الشعر كيفما كانت طريقة كتابته، ونحن ضدّ صفّ الكلام وقولبته، سواء في النثر أو التفعيلة أو العمودي، والمهمّ أن يقدّم الشاعر إضافته، والشاعر عندما يقارن قصيدته بغيره يخسر، فالمقارنة التي تنفع هي فيما يكتب هو فقط، بالتالي يمكنه أن يتفوّق.

• تميزت بكتابة القصيدة الطويلة، ألا تخاف من تسلل الضعف إليها؟

أيّ قصيدة طويلة معرضة للترهل، ولكن إذا تمكّن الشاعر من أداته تصبح كلّ كلمة فيها قويّة، وقد حاولت في كلّ قصيدة أن أقول كلّ شيء، وأشبه قصيدتي الطويلة بالجداريّات المرسومة، فالجداريّة هي مساحة بانوراميّة فقدناها في النحت منذ ٥ آلاف سنة، وهذا ما نراه في جداريّة «تدمر» وجداريّة «الأهرامات». وأنا كشاعر أكتب للأمّة، ولموروثها، وقصيدتي موجّهة للعرب وهمومهم، وليس فقط لفلسطين، وأحاول دائماً أن تكون قصيدتي كما الجدارية التي تقول كلّ شيء، وهذا ينطبق على قصائدي منذ العام ١٩٧٢ وما قبله بقليل إلى اليوم، واليوم لدي جدارية «قيامة الشهداء» بقياس ٣ أمتار ونصف المتر، بمترين ونصف المتر، ولا يوجد مثيل لها في سورية، وهي أداء يعبّر عني، وعن الوقائع الطويلة، ولذلك تحمل قصيدتي سيرة من الملحمة أيضاً، وأنا في الأساس تأثّرت بالموروث الشعبي، والسير الشعبيّة، وتغريبة بني هلال، وسيف بن ذي يزن، وألف ليلة وليلة، وقد تعلّمت من شعراء عمالقة كـ«خليل حاوي»، و«السيّاب» وشعراء عمالقة، حاولوا أن يشكّلوا جداريّة، وجاء من بعدهم ليقدّم للجداريّة، وسيأتي شاعر من بعدي ليضيف إلى جداريتي، وهكذا.

• اهتممت بالشعر الشعبي فظهر في كتابة الأغاني أيضاً فما ميزته عندك؟

أحسد الشاعر الشعبي لأن القصيدة الشعبيّة تصل للناس قبل القصيدة العادية، ولذلك قبل الانتفاضة بعام كان لدي تصوّر بأنها ستقوم، ولذلك كتبت أغاني سجلها التلفزيون السوري، وأذيعت في موعدها السليم، اتكلت فيها على المطالع الشعبيّة التي حفظتها في فلسطين مما سمعته من نُواح وميجنا وعتابا ومحفوظات كثيرة، ركبت عليها مفردات تتلاءم مع المرحلة، وسمعتها الناس وكانت في وقتها المناسب.

ثلاثة هم من قدّم الشعر الشعبي، وضمّنوه في كتاباتهم وهم سلمى الخضراء الجيوسي «في أذرع الكتان» و«توفيق زيّاد» ثم «سميح القاسم» ويأتي اسمي في الترتيب بعد زياد وقبل القاسم. وفيما بعد التضمين يكسر الأداء الموسيقي للقصيدة، فحافظت على الوزن في كامل القصيدة ليكون حاملاً يوصل القصيدة للناس، فالشعر لا يمكن أن يكون جماهيرياً، والجماهيريّة فقط للشعر الشعبي.

• صور النبوءة في شعرك هل تحمل حالة من الوضوح؟

نبوءتي في شعري تتجسّد في إشارة تستشرف وتؤشر، فمثلاً عام ١٩٧١ كتب نصاً:

يا أيّها الذين آمنوا
ولم يقاتلوا
بغداد في دمي
مكتبة دخان...

فكنت أستشرف في مجمل قصائدي عن حال الأمة العربيّة، وعن الانهزامات، وهذه الرؤية مؤسّسة على رؤية الواقع المعيش، فالشاعر والفنان يقرآن واقعها وعليه يبنيان رؤياهما بما يسمى الاستشراف. ورؤيتي اليوم أن وطني سينتصر والغزاة منهزمون.

• ماذا عن الرسم والتشكيل؟

هو اللغة الأولى قبل الشعر، فقد رسمت في البراكيّة، على جدرانها، وهوامش الدفاتر، وعلى الشنتة، وعلى الأرض، والتربة، ومع الزمن تطوّرت المسألة لالتحق بالمرسم الكويتي في الكويت، وقدّمت معرضين فيما بعد، كانا في العام ١٩٦٥ والعام ١٩٩٦ وانقطعت بعدها بسبب العمل السياسي، وعدت من جديد في عام ١٩٧٤ وشعرت بأن الثقافة مفيدة جداً للرسم، ويتطوّر الحال بسببها، وفي الفترة الأخيرة أصبحت أكثر ارتباطاً مع اللوحة من قبل، فأرسم في الخارج وفي الفضاء والأماكن الفسيحة، ولكن في الأزمة اقتصر عليّ هذا الأمر كثيراً.

> لدينا محترفون في تشكيل قصيدة التفعيلة لكن لا يدركون مدى أهمية بث الروح فيها

> رؤيتي اليوم أن وطني سينتصر والغزاة منهزمون

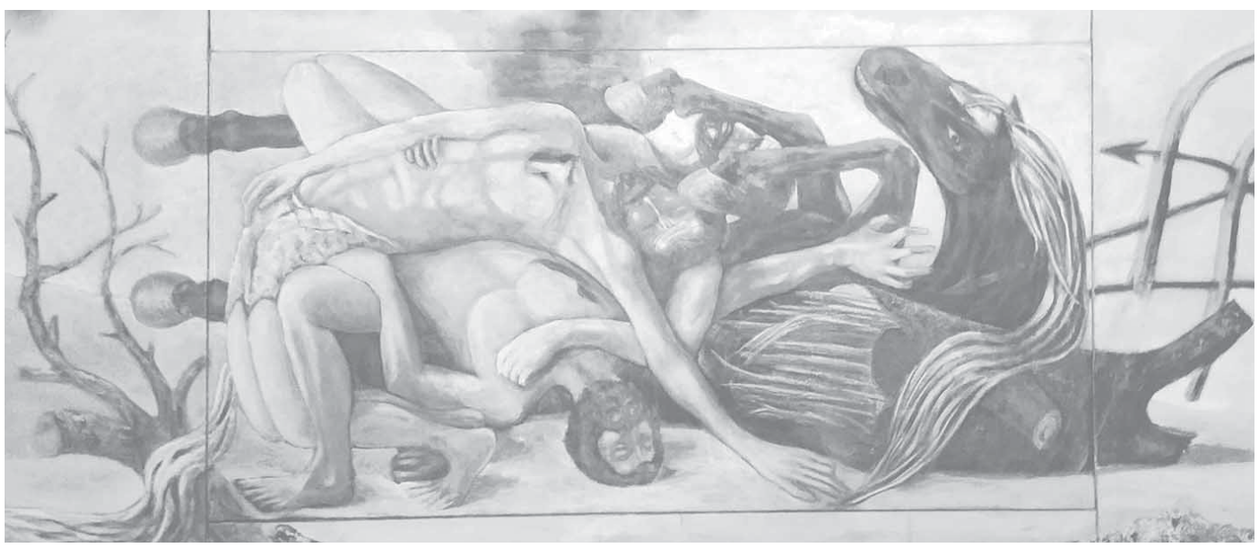

«قيامة الشهداء» من لوحاته التي تنشر أول مرة

رواية «زناة» بوح الحب محرّم في مجتمع تسوده عفة الجهل

الوطن

صدر مؤخرا رواية للأديب «سهيل الذيب» بواقع مئتين وخمسة وثلاثين صفحة تحمل عنوان «زناة»، طبعاً العنوان في بادئ الأمر يثير الدهشة والغرابة للجرأة في الطرح ولحساسيته في مجتمع شرقي، وأيضاً ما هو لافت بأن الكاتب لا يهدف من روايته رجم الخطيئة كما لا تتوافر لديه النية لنشر الوعي لتجنبها أو محاولة عدم الوقوع في شباكها.

تميّز الكاتب في روايته بعينه الناظرة للحب والإيمان للآخر والمهتمة والمعنية بقضايا تنبض بالحياة، كما يثور فيها على الفجور والضغائن وعلى الوجوه المقنّعة لأشخاص اختلفوا في مذاهبهم واعتقاداتهم وهم أنفسهم أشخاص غايتهم إنزال العقاب على العامة بهدف نشر جهلهم وتوسيع رقعة سيطرتهم.

روايته فيها من الواقع الكثير وكان الله على لسانه في كل ما روى، كما كان مجتهدا بتصوير بساطة الواقع القروي سواء من الجمال الطبيعي للحقول وانعكاسه على البشر مرورا بالعادات والتقاليد المنتشرة والسائدة في قرية «أم الحيات».

مشهدية التناقضات يمكن ملاحظتها في الكتاب فرغم كرم الطبيعة الأم وعطائها اللا محدود بكل فصولها سواء من منتجات زراعية ومواش، يقابلها بشكل واضح بخل السكان، وبدلاً من التنّعم بالخيرات وحمدها والشكر لوفرتها تجد سكان القرية يبخلون على أنفسهم وخاصة اللحوم حتى إنهم لا يذبحون المواشي إلا في حال مرضها أو حلول ضيف عليهم ولا يكون من نصيبهم إلا بواقي الضيوف من العظام، ومن المشاهد المتناقضة أيضاً والتي صورها الكاتب الناس القاطنون في القرية، فهم أشخاص تجدهم تارة مفعمين بالحب وتارة أخرى بالكراهية وربما هذا يعود إلى بساطتهم اللا محدودة وانطوائيتهم لقريتهم فيلاحظ بشكل واضح استكانتهم للواقع الحياتي مسلّمين أمرهم لما تراه السماء، فهم مختلفون عن بعض في الفكر والمعتقد وحتى بدرجة العلم والتي يُندر ما تعلو، فالجهل هو السائد في المكان والمنافس القوي أمامه هو الفقر الناتج عن بساطة الغباء القروي، وأما الحب والعشق والافتتان والشوق اللاهب للحبيب فهو حاضر ولكنه مستور تحت رايات المناداة بالشرف والفضيلة والتعفف وينظر له، وهذا هو الحال الطبيعي، بأنه أشبه باللعنة فالبوح به ممنوع وخصوصا بوجود الكثيرين ممن يحرّمون حسب مزاجيتهم وهم أنفسهم من يمارسون الحب في الخفية متجاهلين كل ما يصدحون به في العلن من مثاليات يصعب التمسك بها لأنهم في النهاية بشر.

رواية «زناة» جمعت صوراً متكررة لشخصيات تعيش في مجتمع منها إبراهيم الساربة، إبراهيم الإبراهيم، أسرة أبي ماجد وأبي جورج، كلها خلقت تنوعا ماثلا في مجتمعنا وتناقضاً رهيباً في كل ما يمكن للمرء أن يصادف في حياته من ظروف بفعل الطبيعة أو بفعل البشر وسواء أكانت حباً أم خيانة، جهلاً أم علماً، فقراً أم غنى، كرماً أم بخلاً، عدواً أم صديقاً كلها موجودة... في وطن.